مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بقلم أ.د. ناصر العمر

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة عظيمة ومن كبريات القضايا ومهمات المسائل، لأن متعلقها إيجـــاد المجتمع الإسلامي، وإقامة الدين الذي من أجله خلقت البشرية، فحاجة المجتمعات إليها ماسة في سائر العصور، ولـــو كان مجتمع يستغني عنها لاستغنى عنها مجتمع الصحابة الكرام، ولكن لا غنى للإنسان أيا كـــان عنـــها، فالإنـــسان موصوف بالظلم والجهالة، كما أخبر الله عنه بقوله: {إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً} [الأحزاب: ٧٢]، هذا مـــع صـــفات نقص أخرى جبل عليها من السهو والنسيان وغيرها، فجاء الشرع آمراً بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، كمـــا في سورة العصر، وقد بين ربنا فيها أن جنس الإنسان خاسر {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الـــصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَـــوْا بِـــالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر:٣]، وفي المقابل رتب الفلاح والخيرية على القيام بتلك المسؤولية، وقال الله تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمـــران: ١٠٤]، {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمـــران: ١١٠] قـــال القرطبي رحمه الله : في هذه الآية "مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك وما اتصفوا به فإن تركوا التغيير وتواطؤوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم أسم الذم وكان ذلك سببا لهلاكهم"[١] وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "من سره أن يكون من أهل هذه الآية فليؤد شرط الله فيها"[٢]، يريد من سره أن يكون من خير أمة فليؤمن بالله وليأمر بـــالمعروف ولينه عن المنكر.

وبين النبي صلى الله عليه وسلم أن من أعظم الذنوب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يحقرن أحدكم نفسه، يرى أن عليه مقال ثم لا يقول فيه، فيقول الله جل وعلا يوم القيامـــة: مـــا منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس، فيقول فإياي كنتَ أحق أن تخشى"[٣]

وبإلقاء نظرة على كتاب الله تعالى يستبن الناظر أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان وظيفة الأنبياء الكرام، فإبراهيم عليه السلام نهى قومه عن المنكر فقال: {أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ} [الأنبيـــاء: ٦٦]، وأمرهم بالمعروف فقال: {أَإِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَـــالَمِينَ} [الـــصافات: ٨٦-٨٧]، وأعمل يده في الأصنام تكسيرا، قال الله تعالى: {فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ} [الـــصافات: ٩٣]، وقـــال ســـبحانه: {فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلاّ كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ} [الأنبياء: ٥٨].

وموسى عليه السلام شدد النكير على السامري وقال له: {وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً} [طه: ٩٧]، وقال عيسى عليه السلام للحواريين: {اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُـؤْمِنِينَ} [المائـدة: ١١٢].

ونبينا صلى الله عليه وسلم كانت حياته كلها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر قال الله تعالى: {الَّـذِينَ يَتَّبِعُـونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَـنِ الْمُنْكَـرِ} [الأعراف: ١٥٧].

وقال جل ذكره في شأن المؤمنين: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَـنِ الْمُنْكَرِ} [التوبة: ٧١].

وقال سبحانه في شأن المنافقين: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَـأْمُرُونَ بِـالْمُنْكَرِ وَيَنْهَـوْنَ عَـنِ الْمَعْرُوفِ} [التوبة: ٦٧].

قال صاحب المنار: "وقد جرت سنة الأنبياء والمرسلين والسلف والصالحين على الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن كان محفوفاً بالمكاره، وكم قتل في سبيل ذلك من نبي وصديق فكانوا أفضل الشهداء"(٤)

والآثار المترتبة على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وخيمة وهي تدلك على مكانة تلك الشعيرة فمن تلك الآثار المترتبة على ترك الأمر بالمعروف وترك النهي عن المنكر:

-كثرة الخبث، قالت زينب للنبي صلى الله عليه وسلم: "أنهلك وفينا الصالحون قال: نعم إذا كثر الخبث"(٥)

-ومنها حلول العذاب، قال الله تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} [الأنفال: ٢٥].

-ومنها عدم إجابة الدعوة قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليبعـثن الله عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم" (٦)

-ومنها حصول الاختلاف والتناحر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن أول ما دخل النقص على بني إسـرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول: اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه غدا فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيلـه وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض (٧)

والعقل قاض كذلك بأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وخطر تركهما، قال ابن تيمية رحمه الله: (كل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر، فالتعاون على جلـب منـافعهم،

والتناصر لدفع مضارهم، ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع. فإذا اجتمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها يجتلبـــون بهـــا المصلحة، وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة، ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد، والناهي عن تلـــك المفاســـد، فجميع بني آدم لا بد لهم من طاعة آمر وناه) [٨] ، والآمر الناهي الذي لا يقدم على أمره ولا على نهيه أمر أحـــد ولا نهيه عند المسلمين هو الله سبحانه وتعالى، وقد بعث رسوله عليه الصلاة والسلام بالأمر والنهي، قال ابن تيمية رحمـــه الله: (فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر، وهذا نعت النبي والمؤمنين، كما قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ})[٩]، ولما كان الله سبحانه وتعالى خالق الخلق ومدبر أمورهم كان أعرف بما يصلحهم وما يفسدهم، فلهذا كان فيما يأمر به –وهو المعروف– من المصالح ما لا يوجد فيما يأمر به غيره، وكان فيما ينهى عنه –وهو المنكر– من المفاسد ما لا يوجد فيما ينهى عنه غيره، وبهذا يعلم وجه أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عقلاً، حتى قال الغزالي رحمه الله: (هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعملـــه؛ لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفـــساد، واتـــسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، و لم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد) [١٠]

غير أن قوله و لم يشعروا بالهلاك إلاّ يوم التناد بعيد، بل ما أقرب استشعارهم له في الدنيا قبل الآخرة، وقد قـــال ابن قتيبة رحمه الله في هذا الصدد: "وقد رأينا بعيوننا ما أغنى عن الأخبار، فكم من بلد فيـــه الـــصالحون والأبـــرار، والأطفال والصغار، أصابته الرجفة فهلك به البر والفاجر، والمسيء والمحسن، والطفل والكبير؛ كقـــومس ومهرجـــان وقذق والري ومدن كثيرة من مدن الشام واليمن، وهذا شيء يعرفه كل من عرف الله عز و جل من أهل الـــديانات وإن اختلفوا."

وقد ضرب نبينا صلى الله عليه وسلم للأمر مثلاً بالسفينة.. فما أقرب الغرق إذا اتسع الخرق، نعوذ بالله من فتنن لا تصيبن الذين ظلموا منّا خاصة، ونسأله أن يجعلنا وإياكم مع الصالحين المصلحين.

---

١) الجامع لأحكام القرآن، ١٧٣/٤.
٢) فتح القدير، ٣٧٢/١.
٣) رواه ابن ماجة وصححه الألباني.
٤) تفسير المنار، ٣٢/٤.
٥) البخاري، ١٢/١٢، (٣٣٦٤).ومسلم، ٢٧٣/١٨، (٧٤١٦).
٦) الترمذي، ٣٣٥/٨، (٢٣٢٣).
٧) أبو داود، ٤٧٤/١٢، (٤٣٤٨).
٨) الحسبة لابن تيمية ٤/١.
٩) الحسبة لابن تيمية ٩/١.
١٠) إحياء علوم الدين ١٤٣/٢.